من تراب الطريق (٣٠٣) عن أي سلام يتحدثون؟!(*)

بفارق ٤٨ ساعة ليس إلاّ ، حملت الصحف نقلا عن وكالات الأنباء ، دعوتين متنافرتين متعارضتين أشد التنافر والتعارض ، فضلا عن المغالطة والتهافت .. فى ١٤/ ٧/ ٢٠٠٩ حملت عناوين الصحف تصريحات مليئة بالصلف والغطرسة صادرة من نيتانياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي ، تقول فى تبجح : «على العرب والفلسطينيين الاعتراف بيهودية إسرائيل» .. وفى التضاعيف والتفصيلات أنه يجب على العرب والفلسطينيين التخلى وصرف النظر عن حق العودة إلى ديارهم ، فعودتهم تقويض تدريجى لإسرائيل (اليهودية) ، والاعتراف بيهودية إسرائيل هو مفتاح السلام

إذن فهذه التصريحات صادرت على كل مطلوب ، بل وضعت العقدة فى المنشار ، ونسفت أى حديث يمكن أن يدار أو يلوح به عن السلام .. ولكن الأغرب لأن إسرائيل لا يصدر عنها إلاّ كل غريب ، هو ما صدر عن الولايات المتحدة من تأييد ليهودية إسرائيل ، ثم ما صدر بعد ٤٨ ساعة ليس إلاّ من تصريحات هيلارى كلينتون وزيرة الخارجية الأمريكية المنشورة بصحف ١٦/ ٧/ ٢٠٠٩ .. فمن واشنطن دعت الوزيرة الأمريكية الدول العربية إلى المبادرة الآن لاحظ : الآن! باتخاذ تدابير

(*) المال ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٩

ملموسة لاحظ : ملموسة ! باتجاه تطبيع علاقاتها مع إسرائيل التى طرقت هى الأخرى الحديد وهو ساخن فأعلنت عن مشروع قانون مطروح يمنع الاستفتاء على إعادة الجولان المحتلة إلى سوريا .. لتكون بذلك ملكا أبديا لإسرائيل ، وخارجة بالتالى عن نطاق أى تفاوض للسلام ، ومع ذلك لا تكتفى الولايات المتحدة بتأييد يهودية إسرائيل ، فتنادى العرب بالتطبيع الآن مع إسرائيل وبتدابير ملموسة .. ثم تلتزم الوزيرة الأمريكية الصمت وترفض الإجابة بنعم أو لا ردًّا على سؤال وجه إليها حول حدوث تفاهم من عدمه بين الولايات المتحدة وإسرائيل بشأن الاستمرار فى بناء المستوطنات بعدما أعلن لها وزير الخارجية الإسرائيلى عن رفض الاستجابة إلى دعوة وقف الأعمال فى بناء المستوطنات !

ماذا إزاء يهودية إسرائيل، لو أعلنت كل دولة بها أغلبية مسيحية عن مسيحية الدولة ؟! إن هذا سوف يرد على أمريكا وكل دول أوروبا الغربية وعلى بعض الدول فى آسيا وأفريقيا واستراليا والأمريكتين .. لنرى مسيحية أمريكا ومسيحية انجلترا ومسيحية فرنسا ومسيحية إيطاليا .. وهلم جرا !

وماذا لو أعلنت كل دولة بها أغلبية مسلمة عن إسلامية الدولة ؟! إن هذا سوف يسرى على كل الدول العربية ، وعلى دول كبرى وصغرى فى آسيا وأفريقيا .. لنرى إسلامية كل دولة عربية ، وإسلامية إندونيسيا ، وإسلامية باكستان ، وإسلامية أفغانستان ، وإسلامية بنجلاديش .. وهلم جرا !

إن ذلك سوف يسلخ حق المواطنة عن كل شخص غير مسيحى فى الدول المسيحية ، وعن كل شخص غير مسلم فى الدول المسلمة ، ليحل الانتماء الدينى محل المواطنة .. التسليم بيهودية إسرائيل ومهما كان ما فيه من مغالطة وتجاهل للفلسطينيين والمسلمين ، المقيمين واللاجئين .. هذا التسليم يعنى بطريق اللزوم التسليم لكل دولة تبعا لأغلبيتها الدينية أن تعلن مسيحية أو إسلامية أو بوذية أو كونفوشية الدولة ، لتنتهى المواطنة ، وتغلق كل جسور التقارب بين الأديان ، وتعمق العنصرية والتعصب الدينى والعرقى ، ويتعارك العالم فى حروب ضارية لا يدركها من يتنادون بغير عقل ولا منطق بيهودية إسرائيل !

ثم كيف يكون السلام ، ناهيك عن التطبيع مع إصرار إسرائيل على يهودية الدولة ، ومنع عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم ، والشروع فى إصدار قانون يحظر الاستفتاء على إعادة الجولان إلى صاحبتها سوريا .. علام إذن سوف يتفاوض العرب ، وعلى أى أساس سوف يكون السلام .. ثم ، وهذا هو الأدهى ، ما هو مبرر دعوة وزيرة الخارجية الأمريكية إلى وجوب مبادرة العرب والآن ! للتطبيع مع إسرائيل ، وبوسائل ملموسة تقطع بقبولهم يهوديتها ومكانتها فى المنطقة !!

لا يمكن لأى عاقل أن يحسن الظن بإسرائيل ، وأمريكا بالتبعية ، إزاء تصرفات تنسف أى فرصة للسلام ، ما بين يهودية الدولة ، ورفض العودة ، وامتلاك الجولان ، والجدار العازل ، والقدس عاصمة أبدية لإسرائيل !! إن الحديث عن السلام رغم هذا كله وغيره من غارات ونسف وتدمير وتجريف واغتيال ، يعنى أننا نضع الهزل مكان الجد .. حقا صدق من قال : «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» !!